كلية : الآداب

القسم او الفرع : التاريخ

المرحلة : الاولى

أستاذ المادة : أ.د زياد عويد سويدان

اسم المادة باللغة العربية : تاريخ الشرق القديم (مصر القديمة)

اسم المادة باللغة الإنكليزية : History of ancient East (Egypt)

اسم المحاضرة الأولى باللغة العربية : الهكسوس

اسم المحاضرة الأولى باللغة الإنكليزية : Hyksos

بلاد مصر تحت سيطرة الهكسوس .

محاضرة رقم (7) الاسبوع السابع

تفتتت وحدة مصر ابان العصر الانتقال الثانى.. هكذا يتضح لنا من واقع كلمات آخر ملوك الأسرة السابعة عشرة الطيبية "كاموزه"(كامس) الذي قال:
" لماذا أرضي بأن يشاركني الحكم رجل عظيم في أواريس(افاريس) وآخر في كوش" ولم تعد اللشت عاصمة للدولة، وأصبح لأمراء طيبة، بحكم موقعهم البعيد، الكلمة العليا .وبعد مائة وخمسين عاما تخللهم كفاح عظيم تأتي نهاية هذه المرحلة التعيسة باقتحام "أحمس" ملك طيبة، لـ أواريس عاصمة الهكسوس في شرق الدلتا، وعودة الوحدة لمصر التي استمرت وحدتها بحدود أربعمائة عام أخري ثم بدأت مشاكل ذات طبيعة أخر . وفي هذه المرحلة الزمنية عانت مصر لأول مرة في تاريخها القديم، مرارة الانقسام والاحتلال الأجنبي....
وقبل أن نتحدث عن هذه الحقبة التاريخية يجدر بنا أن نستعرض معا أحوال بلاد جنوب شرقي البحر المتوسط , اذ كانت تعانى من عدم الاستقرار والغزو الأجنبي .منذ عام 2000 ق.م .تقريبا بدأت الشعوب (الهندوأوروبية) تأتي من الشمال الشرقي من مواطنهم الأصلية في أواسط آسيا الصغرى لتستقر في العراق وسورية . ترتب على هذه الهجرات اضطرابات في تلك البلاد فاستولى الكاسيون أو الكاشيون على الجزء الشرقي من مملكة بابل، وأسسوا دولتهم .كما استولى الخيتيون الذين عرفوا فيما بعد باسم "الحيثيون" على آسيا الصغرى (الأناضول)، واستقر الحوريون أو الخوريون في سورية الشمالية الشرقية وشواطئ الفرات، فكان من الطبيعي أمام هذا الاندفاع أن يحاول الجزريون الإقامة في بلاد كنعان جنوبا، وقد تبعتهم مجموعات قليلة من الآريين .وفي نهاية المطاف جاءت هذه الموجة لتستقر في الدلتا .
يجدر بنا الآن أن نعرف من هم الهكسوس، وهذا على ضوء معلوماتنا الحالية القليلة . اتفق المؤرخون على أن تسمية الهكسوس لم تعبر عن شعب محدد قدر ما عبرت عن صفة لمجموعة من الحكام أطلق عليهم المصريون لقب "حقاو خاسوت" بمعنى حكام الأجانب وحرفيا البلاد الجبلية . وحور المؤرخون القدامى من الإغريق أو المتأغرقين هذه التسمية إلي هكسوس، وهي كما شرح (مانيتون) كلمة مكونة من مقطعين (هك) بمعنى ملك و(سوس) بمعنى الرعاة، وترجمها يوسيفوس بمعنى "الأسرى الرعاة " ووصل بينهم وبين العبرانيين وافترض أن سيدنا يوسف عليه السلام دخل مصر في عهدهم .
بداية ظهور الهكسوس في مصر تحفظها لنا مناظر مقبرة "خنوم حتب" الثاني بمنطقة بني حسن بصورة هؤلاء الوافدين الجدد يقودهم رئيس يدعى " إبشا " ونود ان نوضح ان الهكسوس ليسوا جنسا واحدا ولكن كانوا خليطا من الأجناس منهم "أموريون" لما تضمنته أسماء البعض منهم من صبغة جزيرية ، اذ عثر على أسماء "عبد" "عنات" و "نحمان "
أورد مانيتون وصفا لما ارتكبه هؤلاء الرحل من بشائع، وما خلفوه من آثار لا تمحى في نفوس المصريين فقال-:
"في عهد الملك توتيمايوس ولا أدرى السبب في ذلك، أصابتنا ضربة من الإله، ودون أن نتوقع جاءنا غزاة من جهة الشرق .من أصل مجهول ساروا تملؤهم الثقة في النصر ضد بلادنا وتمكنوا بقوتهم من الاستيلاء عليها بسهولة دون ضربة واحدة، وبعد أن تغلبوا على حكام البلاد حرقوا مدننا دون رأفة، وهدموا معابد الآلهة من أساسها وعاملوا جميع الأهالي بعداء قاس فذبحوا البعض واخذوا نساء وأطفال البعض الآخر ليكونوا عبيدا لهم، ثم عينوا أحدهم ملكا (ساليتيس) فأقام في منف وجني الإتاوات من الأقاليم العليا والسفلي تاركا حاميات في أحسن المواقع، وعلى الأخص حصن المنطقة الشرقية، إذ كان يتوقع أن يصبح الآشوريون يوما ما أشد قوة فيطمعون في مملكته ويهاجمونها، اذ انه وجد في مقاطعة (ستروبيس) مدينة موفقة المواقع جدا، واقعة إلي الشرق من الفرع البوبسطي نسبة إلي (تل بسطة) وتسمى طبقا لرواية

قديمة (أواريس) وأعاد بناءها وحصنها بأسوار منيعة جدا ووضع فيها علاوة على ذلك عددا كبيرا من الجنود المثقلين بالسلاح وصلت اعدادهم الى (240,000) جندى لحراستها وكان يأتي إليها كل صيف ليكيل قمحهم ويدفع أجرهم ولتمرينهم بعناية على الحركات الحربية ليبث الخوف في نفوس الأجانب ".

هذا هو النص الذي كتبه مانيتون وأوردناه هنا، كما نقله المؤرخ اليهودي يوسيفوس الذي عاش في القرن الأول بعد الميلاد، إذ لم يبق الزمن على النسخة الأصلية من تاريخ مانيتون حتى يمكننا القول بأن ما ذكره يوسيفوس منقول بأمانة عن مانيتون أو دخله التحريف، وما مدى هذا التحريف لأنه من المعروف أن المؤرخ اليهودي رأى أن الهكسوس هم العبرانيون .... !!!

ولكن هناك من الوثائق المصرية غير المعاصرة بعض ما يزيد من معلوماتنا عن هؤلاء الوافدين الجدد .

1- عد قرابة قرن من الزمان على طرد الهكسوس ذكرت الملكة "حتشبسوت" إحدى ملوك الأسرة الثامنة عشرة على جدران معبدها المعروف باسم إسطبل عنتر جنوب المنيا " أن أولئك الغزاة لا يحبون الثقافة المصرية ، وأنها أصلحت ما تخرب وأعادت بناء ما تهدم عندما كان الآسيويون يقيمون في أواريس في الدلتا وكان يعيش بينهم المتشردون الذين حطموا ما كان قائما، لأنهم كانوا يحكمون دون الإله رع "... هكذا قال النص رغم أن العديد من ملوك الهكسوس حملوا اسم "رع "

2- أقام الملك "رعمسيس" الثاني من الأسرة التاسعة عشرة لوحته المعروفة باسم لوحة "الأربعمائة عام) "المتحف المصري بالقاهرة (في عاصمته (بي رعمسيس) إلا أنه عثر عليها في تانيس (صان الحجر) ومن المعروف أن هذه الأسرة عبدت ومجدت، إلي جانب آمون وست، و أقام الملك هذا النصب تخليدا لزيارة أبيه وجده للمدينة " :ففي عهد الملك "حور إم حب " آخر ملوك الأسرة الثامنة عشرة، عندما كان أحد قواد جيش "حور أم حب"، والأب "سيتي" ضابطا فيه وتمت هذه الزيارة في عام(1314ق.م) وكان قد مضى على الإله ست في هذا المكان أربعمائة عام وهو الاله الذى عبده الهكسوس في ذلك الوقت .

3- ومن عصر الملك "مرنبتاح" ذكرت بردية "سالية" رقم واحد أن أرض مصر كانت في بؤس وشقاء ولم يكن يحكمها ملك قوى وحازم مثل "مرنبتاح" وبينما حكم "سقنن رع " طيبة تظلله حماية آمون رع وكان "أبوبي" يحكم في أواريس متخذا من ست سيدا له وكانت البلاد شملا وجنوبا تقدم له الجزية والقرابين ومن نص مانيتون والوثائق الثلاث نستخلص الآتي -:

أ- حدد بدء حكم الهكسوس في مصر وتأسيس أواريس (حت وعرت) في شرق الدلتا بـ أربعمائة عام قبل عصر الملك "حور إم حب" آخر ملوك الأسرة الثامنة عشرة أي (1314ق.م) وبحساب بسيط نرى أن عام (1715) هو بدء اعلان تتويج ست) إلها في أواريس وبالتالي يوافق بداية سيطرة الهكسوس على البلاد.

ب - ربما مارس الهكسوس في بادئ الأمر، العنف والتدمير ضد المصريين وأهملوا متعمدين كل ما يتعلق بحضارة مصر وآلهتها، إلا أنهم قاموا - فيما بعد- بمحاولة فاشلة حاولوا بها التقرب من المصريين ، فاتخذ ملوكهم ألقاب وتسمى البعض منهم بأسماء مصرية تتضمن اسم الإله رع، ولكنهم بدون أدنى شك، كانوا يحكمون دون رضا رع وكهنته الأقوياء كما أشار النص المنقوش على جدارن معبد الملكة "حتشبسوت "

ج- اتخذ الهكسوس في بداية الأمر من (منف) مقرا لحاكمهم وشيدوا في أواريس حصنا عظيما به حاميه يبلغ عدد رجالها بحدود ربع مليون جندي مزودين بالسلاح ومدربين أحسن تدريب.

د- انتقال ملك الهكسوس وبلاطه للإقامة في أواريس (افاريس) متخذا منها عاصمة لملكه

هـ - عبد الهكسوس الإله ست، واستمرت عبادة هذا الإله في شرق الدلتا إلي عصر الدولة الحديثة .

و- حرية العبادة كانت مكفولة للمصريين، فلم يفرض عليهم الهكسوس عبادة آلهتهم أو حتى عبادة الإله ست .

ز- وجود حكام وطنيين يدينون بالطاعة للهكسوس ويدفعون لهم الجزية .

ويجدر بنا الآن مناقشة مشكلة مازالت قائمة، وهي مشكلة الأسلحة الجديدة التي مكنت الهكسوس من قهر المجموعات المصرية التي تصدت لهم دفاعا عن مصر، وأن كنا لا نعتقد أن الهكسوس جاءوا إلي مصر على شكل جيش غاز دخل

البلاد بقوة السلاح وانما يرجح أنهم جاءوا على شكل مجموعات بشرية كبيرة دخلوا مصر واستوطنوا فيها وقد تم هذا على فترت زمنية متتابعة، وفيما بعد استقلوا بجزء من البلاد واختاروا أواريس في شرق الدلتا عاصمة لهم .

ولكن الدكتور عبد العزيز صالح يرى أن جحافل كبيرة غزت مصر وأن الأموريين قد مهدوا على الأرجح لهذا الغزو، وكانوا قد تسربوا من قبل إلي شرق الدلتا ومنها ساعدوا الآخرين على الاستيطان بمصر .وجاء الهكسوس بأسلحة جديدة على المصريين مكنتهم من سهولة الغزو .

و هناك من يعتقد أن الهكسوس هم أول من أدخل الأسلحة البرونزية إلي مصر وكذلك الخيل والعربات الحربية، إلا أن الاكتشافات الحديثة أثبتت عكس هذا القول فصناعة البرونز مثلا كانت معروفة في مصر منذ الدولة الوسطي حيث عثر على عدد قليل من الأسلحة البرونزية التي تثبت على الأقل أن المصريين استعملوا هذه المادة في صناعتهم للأسلحة قبل قدوم الهكسوس إلي مصر.

وجاء احد الآراء أنهم ادخلوا العجلات، وانه لمن المعروف أن استعمال العجلات في مصر يرجع إلي الدولة القديمة إذ أنها استعملت، كما هو معروف، في دفع السلالم لتسلق أسوار الحصون ....

أدى وقوع مصر تحت سيطرة الهكسوس لردود فعل عميقة أصابت الكبرياء المصري في الصميم، فحطم هذا الشعور بالطمأنينة وزعزع ثقة المصريين بأنفسهم ومحا من أذهانهن فكرة التفوق المصري فاستسلموا بعد مقاومة هزيلة للحكم الأجنبي .ولكن هذا الشعور السلبي لم يدم طويلا خاصة وأن هؤلاء الدخلاء عجزوا عن تغير التقاليد الفنية واللغوية والدينية والروحية في مصر والتأثير فيهم، بل بالعكس تأثروا هم وتطبعوا بها . واستمر المصريون يدفعون الضرائب (والجزية) إلا أنهم في نفس الوقت كانوا يستعدون لحروب التحرير، وقد استغرق هذا قرنا من الزمان، حتى شعروا بقدرتهم على لقاء العدو فهبوا تحت زعامة البيت الطيبي، وكانت الانتفاضة عظيمة.